

دواعي الغموض في الشعر العربي المعاصر

ضامري مصطفى

بإشراف: أ.د. العراقي لخضر

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

الملخص :

يتناول هذا المقال ظاهرة الغموض ودواعيه في الشعر العربي المعاصر باعتبارها تمثل أحد الخصائص المميزة للتجربة الشعرية المعاصرة، ولأنها أصبحت تشكل عضوا فنيا له صفاته وأسبابه، وتعبّر عن الإنسان المعاصر بكل ما يعيشه من حالات شعورية وتناقضات انعكست بالضرورة على تجربته الشعرية. فالغموض يمكن أن يغطي كل شيء ذي أهمية أدبية، وللاطلاع على دواعي الغموض في الشعر العربي لابد من دراستها عند الشاعر والقارئ وفي النص، يمكن أن ينتج عن معنيين أو أكثر في معنى واحد يكون الشاعر قد قصده، ويمكن أن يتولد من اتحاد عدة معان بغرض توضيح حالة ذهنية خفية أو معقدة، ويمكن أن يكون الغموض في قراءة القارئ فيذهب إلى عدة دلالات في تفسيراته لما يقرأ، كما يمكن أن ينتج عن موضوع النص في حد ذاته.

الكلمات المفتاحية : الغموض؛ الغموض والإبهام؛ الغموض في الشعر؛ الشعر العربي المعاصر.

مقدمة:

يتناول هذا المقال ظاهرة الغموض ودواعيه في الشعر العربي المعاصر باعتبارها تمثل أحد الخصائص المميزة للتجربة الشعرية المعاصرة، وتعبّر عن الإنسان المعاصر بكل ما يعيشه من حالات شعورية وتناقضات انعكست بالضرورة على تجربته الشعرية، ولذلك كان لابد أن نتطرق إلى هذا الموضوع الذي أصبح يثير الكثير

من التساؤلات ويشغل بال المفكرين والنقاد، بداية بعلاقة ظاهرة الغموض بالشعر العربي القديم عامة وبالشعر العربي المعاصر على وجه الخصوص، ثم إلى دواعي الغموض التي باتت تقف أمام النص الشعري المعاصر وأمام الشاعر والمتلقي. إذن فما هو الغموض؟ وما هي دواعيه في الشعر العربي المعاصر؟

. الشعر والغموض:

. إن ظاهرة الغموض قديمة قدم الشعر العربي، بل هي في الشعر بعامة فقد نشأت مع الشعر وأصبحت تشكل عنصرا فنيا له صفاته وأسبابه، وقد استفحل الغموض في الشعر العربي المعاصر، لأسباب متنوعة من نص إلى آخر، ومن شاعر إلى آخر، فقد يكون هذا الغموض ناشئا عن قصد، والمعنى الغامض لطيف وهذا يثبت أن الغموض لا يعود إلى صاحب النص، وإنما يعود أيضا إلى النص والمتلقي.¹

والفرق بين النثر والشعر هو في الوضوح والغموض، كما يشير البعض إلى أن طبيعة النثر الوضوح أما طبيعة الشعر الغموض، وهو صبغة تميز بها الشعر العادي من الشعر الرفيع.

الغموض ليس خاصية ينفرد بها الشعر العربي المعاصر، وإنما هو خاصية مشتركة بين الشعر العربي القديم والجديد على السواء، وكل ما في الأمر هو أن الغموض قد صار ظاهرة واضحة في الشعر الجديد تدعونا إلى

التأمل. فلا يمكن أن تكون المسألة في هذا الشعر عدولاً معتمداً عن الوضوح إلى الغموض، ولا يمكن أن تكون كذلك مجرد رغبة من الشعراء في إرضاء ذواتهم عن طريق إغاطة متلقي الشعر بوضعه في إطار من الطلاسم التي تعي على الفهم كما لا يمكن أن يكون النص وما يحمله من مواضيع السبب الرئيس في الإبهام المباشر.¹

وكان أبا تمام قد وعى وظيفة الغموض في الشعر حين أجاب رجلاً سألته "يا أبا تمام، لم لا تقول من الشعر ما يعرف؟ فقال: "وأنت لما لا تعرف من الشعر ما يقال؟".³

لقد استطاع الشاعر العربي المعاصر من خلال تجربته الجديدة في الشعر الجديد عبر ما يقرب عقدين من الزمن، أن يصنع للشعر العربي مصطلحاً جديداً يعايش العصر وينبض بروحه، وإن كانت اللغة المركبة منه جديدة وغريبة على الأسماع، إلا أنه يحمل طاقة تعبيرية تعبر عن مكانة هذا الشعر، والشيء الذي لا يمكن إنكاره هنا هو أن ظهور المصطلح الشعري الجديد الذي يسمى بشعر الحداثة قد صاحبه لدى المتلقين إحساس بغموض هذا الشعر وخاصة الذي ألف قراءة الشعر العربي القديم قد يواجه صعوبة كبيرة في التجاوب مع الشعر الجديد، وربما رفضه من أجل هذه الصعوبة، فالمؤكد أن هذا الشعر الجديد يمثل اتجاهها جمالياً يختلف عن اتجاه الشعر القديم، وربما حاول البعض التغلب على تلك الصعوبة بأن يكيّفوا أنفسهم وهذا الاتجاه الجديد، ولكن كثيراً ما يقف حائلاً دونهم، وهذا التكيف خاصة في الشعر الجديد هي في الحقيقة مقوم من مقومات وجوده، وهي ظاهرة الغموض في هذا الشعر الجديد.⁴

لقد اعتمد الشاعر العربي المعاصر الخيال الشعري للكشف عن عالم يقوم على الحرية الإبداعية المطلقة، وأصر هذا الخيال الخلاق على أن يخلق صورة بنفسه لا

أن يستمدّها من الواقع حوله، وهكذا تحولت الصورة الشعرية في ظل تجارب الشعر الجديد إلى صور انفعالية تموج بالألوان والأصوات والرموز المتداخلة.

واستطاعت الصورة الشعرية المعاصرة أن تكون تركيبة وجدانية تنتمي إلى عالم الشعر الجديد، وبرزت من خلالها أهمية الوجود الذاتي واللاشعور وأهمية الأساطير كعالم جوهري في حياة الإنسان المعاصر وبسبب هذه الصور الذاتية والأسطورية طغى الغموض على القصيدة العربية المعاصرة، ذلك الغموض الذي جاء نتيجة طبيعية لطرح الواقع الخارجي وعدم الاعتماد عليه كمصدر أساسي للصورة الشعرية، والاعتماد في ذلك على الواقع الذاتي والواقع الأسطوري وهما واقعان عالمهما الرمز والإيحاء والغموض.⁵

ونجد وليام أمبسون يشير إلى الغموض بقوله: "الغموض يعني في الكلام شيئاً ملفوظاً تماماً، وعادة ما يكون هذا الشيء ذكياً وخادعاً". فالغموض كما يراه أمبسون هو تلك العبارات التي تكون غامضة المعنى غير مفهومة في النص الشعري.

حاول بعض الدارسين في العصر الحديث أن يتعرفوا على الأسباب التي أدت بالقصيدة المعاصرة إلى الغموض، ومنهم وليام أمبسون في كتابه "سبعة أنماط من الغموض" وهو يحدد معنى الغموض بقوله: "إنك لا تحسم حسماً فيما تعنيه، أو أن تقصد إلى أن تعني أشياء عديدة وفيه احتمال أنك تعني أنك تعني واحداً أو آخراً من شيئين، أو تعني كلاهما معاً، أن الحقيقة الواحدة ذات معان عدة".⁶

يصنف أمبسون الغموض في سبعة أنماط، ويبدأها بأهمها، وهو الغموض الذي يكاد في نظره أن يغطي كل شيء وله أهمية أدبية وفنية، ويركز فيه على الغموض الناتج عن المجاز والاستعارة والنعوت والإيقاع، ثم يتوقف

بعد ذلك عند أنماطه السبعة وهو الذي يتضمن اجتماع معنيين أو أكثر في معنى واحد يكون الشاعر قد قصده في قوله: "والغموض نفسه يمكن أن يعني التردد وعدم اتخاذ قرار بشأن ما تعنيه أنت، بمعنى أن الغموض قد يعني القصد إلى العديد من الأشياء، أو بمعنى آخر الغموض هو احتمالية أن يعني الإنسان أمرا أو آخر أو الأمرين معا، كما قد يعني أيضا أن تكون العبارة معان عدة".⁷

ومن هنا يمكن أن نقول إن أمبسون استطاع أن يفرق بين الغموض الفني والإبهام، وذهب إلى أن الإبهام ضار بالعملية الشعرية، في حين أن تعدد الإشارات فهو يضيف غنى وتعقيدا لبنية المعنى ولا يبهماها.⁸

إن بناء القصيدة الحديثة يدعو إلى الغموض، لأن الشعراء في هذا العصر لا يبنون فكرهم على تحديد اتجاه يدعوون إليه، ولا يحددون الموضوع والغرض من القصيدة الواحدة، حتى تستطيع أن تربط عناصر التركيب ومدلولاته بهذا الغرض، فهو أيضا لا وجود له، بل يعمدون إلى إخفائه، ثم أن المعاني الجزئية والمضمون من منطوق ومفهوم للتركيب لا ضابط لها.

وهم يرون أن من دواعي الغموض للقصيدة الحديثة ما تنسم به من البعد المعرفي، حيث تنصهر الثقافات في صميم التكوين البنائي للشعر، لكن ذلك يعارض فلسفتهم التي تقوم على تحطيم اللغة ومدلولاتها، وتفريغ اللفظة والتراكيب مما تحمله من دلالات، ومعنى ذلك أنهم يرفضون البنيوية والأسلوبية ودلالاتهما.⁹

يجمع كثير من الباحثين على أن الغموض إذا كان مصدره الشاعر فهو يعود إلى عجز في التعبير عن التجربة الشعرية أو عدم نضجها واكتمالها، أو القصيدة في التعقيد والإبهام.

لكن الشاعر قد تدفعه ظروف خارجة عن إرادته إلى الغموض بسبب ظروف عصره أو مجتمعه الذي يعيش فيه، يقول أدونيس: "إن الشعر صورة عن حياتنا المعاصرة في عبثها وخللها إنه صورة من التشققات في الكينونة المعاصرة"¹⁰، كما يشير إلى ذلك بتعريف آخر "الشعر نقيض الوضوح الذي يجعل من القصيدة سطحا بلا عمق، الشعر كذلك نقيض الإبهام الذي يجعل من القصيدة كهفا مغلقا"¹¹. ولذا وجب على الشاعر العربي المعاصر تخطي الحدود وتجاوز القيود المفروضة عليه ليعالج قضايا عصره ومجتمعه بتعقيداتها ولذا تبدوا قصيدته غامضة.

أما الغموض الفني الناجم عن النص الشعري فهو يتجلى في أشكال مختلفة يجمع بينها تعدد الدلالة واختلاف لغة العصر، وكثرة المعارف متعددة المنابع ومتلونة الروافد التي يختلط فيها العلمي والخرافي والتاريخي والأسطوري والديني والفلسفي وكل ألوان معارف العصر، ولذلك وجد الشاعر العربي نفسه في مواجهة العديد من المعارف التي ترفض أن تتلقاها الواحدة تلوى الأخرى بل يجب تناولها دفعة واحدة، وهذا ما ولد ازدحاما دلاليا فيه من الغموض والتعدد ما يصيب المتلقي بالحيرة أمام النص الشعري.¹²

ولذلك فإن ظاهرة الغموض لا تقتصر على القصيدة وحدها، وإنما تشمل الفنون والعلاقات الاجتماعية نفسها، ولذلك فإن من حق النص الشعري أن يعبر عن علاقات الإنسان الاجتماعية والنفسية والمصيرية، وأن يطور من مكوناته وتقنياته وبنيتة الفنية لمواكبة العصر وتجاريه.

إذا تتبعنا الشعر العربي المعاصر ندرك قدر القلق والتشتت الذي يعاني منه العربي من خلال لغته التي تراوحت بين التناقض أحيانا والرفض أحيانا أخرى

والغموض في كل الأحيان، واللغة التي تكتب بها القصيدة هي وصف لصورة يرسمها الشاعر انطلاقاً من ذاته، ولأن ذات الشاعر ومشاعره تسيروها أمور باطنية مقرها اللاشعور تأتي قصائده غامضة مبهمة. 13

وبذلك اختلفت رسالة الشعر حيث استبدل الشاعر المعاصر العالم الداخلي بالعالم الخارجي، فاتجه إلى داخله لاستنطاقه واكتشافه، وصار هذا العالم مصدراً أساسياً للطاقة الشعرية، وهكذا اتجه النص الشعري من المعلوم إلى المجهول، وصار الشاعر المعاصر يطرح أسئلة ويثير اختلافات، ولذلك اتجه الشعراء المعاصرين صراحة إلى الغموض. 14

يطوف الشاعر المعاصر أحياناً في آفاق ميتافيزيقية وسريالية مستمدة من الحلم، وهي تنم عن مناخ شعري سريالي من الصعوبة القبض على دلالاته وعلى هذا الأساس يصبح انفتاح الشعر للفهم صعب المنال، لأن مهمة الشاعر الأولى هي إخراج اللفظة من الحيز العقلي، حتى تصبح الكلمة قادرة على أن تعبر عن فعالية الروح وحاجتها، وتصبح ثورة من الإيحاءات الصوتية أكثر من قيمتها الدلالية، ولهذا يتسم جانب كبير من الشعر الحديث بالغموض، لأن الشعر لا يخضع للمواصفات العقلية، أي لا يقصد فيه التوصيل المباشر بين الشاعر والقارئ، ولذلك وجب على هذا القارئ أن يبحث عن علاقة أخفاها الشاعر، وعن معنى ضمني لم يقله صراحة. 15

كما أن ظاهرة الغموض هي حتمية لفقدان اللغة المشتركة بين الشاعر والقارئ يقول أدونيس "هكذا تتضح لنا بشكل أكثر تعقيداً إشكالية الحداثة اليوم، على مستوى اللغة، لقد فقد حسن اللغة وبذلك يبدوا كأنه يجهل ما أعطاه هويته أو يجهل ما هو..." 16 وهذا ما ولد التنافر الكبير بين الشاعر والقارئ، لأن

الشاعر في حد ذاته قد فقد لغته الشعرية، وهذا ما يؤدي إلى الإبهام والغموض.

فالقصيدة المعاصرة ابتعدت عن النموذجية في الشعر وراحت تبحث عن شكل يناسبها ضمن التجربة الجديدة، وما تحمله من تغيرات معاناة الإنسان وتجربته، فالبحث عن الجديد والابتعاد عن القديم هو ما قد يولد القطيعة بين القارئ والشاعر، ففي حين يرى الشاعر في نفسه قمة الإبداع يرى فيه القارئ قمة الألباز والغموض.

على القارئ أثناء عملية القراءة أن ينفعل مع الشاعر لأن القصيدة ما هي إلا شحنة عاطفية لا تخلو من الروعة، صبغها الشاعر بهذا الغموض ليس عجزاً منه التوصيل وإنما ليمنح القارئ فرصة للتفاعل مع النص الأدبي. 17

كذلك يجب على القارئ أن يكون في مستوى هذا النص الأدبي، لأن الشعر المعاصر لا يستخدم اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة التي نعلمها ولا يستخدم كذلك اللفظ بدلالته التي نقصدها حين نستخدمه في حياتنا اليومية، ثم أنه لا يفسر لنا الأشياء تفسيراً منطقياً يقبله العقل، ومن ثم نصف الشاعر بأنه غامض في نصه، لأننا اعتدنا أن نتعامل باللغة في وضوح، أما الشاعر فيدرك الأشياء إدراكاً أبعد مدى مما نتصور. 18

إن الشاعر لا يطلب من القارئ فهماً فورياً للمعنى في شعره فهو يريد خلق نوع من الإيحاء لدى القارئ لينقله إلى تجربته الشعرية ويشاركه فيها ووسيلته في ذلك إعادة صياغة الأشياء على غير ما هي عليه في الواقع وذلك من خلال اللغة التي يحاول تحطيمها ليصنع منها لغة جديدة تخدمه في نقل عالمه الداخلي الخاص إلى الآخرين.

ومن دواعي الغموض عدم مراعاة نظم الربط بين أجزاء القصيدة بإهمال حروف العطف وغيرها من وسائل الربط في اللغة وهذا بالطبع خروج على قوانين اللغة المتعارف عليها مما يوقع القارئ في حيرة هي الغموض عينه، ولعل أحدا يقول إن الشاعر يستبدل تلك الحروف والوسائل بطرق ربط أخرى وذلك ليحقق الانسيابية في النص ومن هذه الطرق، التكرار والفاصلة والنقطة أو النقط المتوالية أو وضع كلمات في غير مكانها لترتبط مع بقية الجملة كأن يضع الفعل في آخر السطر الشعري، والفاعل في بداية السطر الشعري، اللاحق له، أو يضع المضاف في السطر الشعري، والمضاف إليه في بداية السطر الذي يليه.

ولعل أهم ما يميز الشعر العربي المعاصر هو اعتماده على المجاز بشكل كبير، واستخدام المجاز في اللغة يفتح الباب أمام التأويل وتعدد القراءات، حيث تستخدم اللفظة في غير ما وضعت له، وبالتالي ينقلها من مدلول واحد إلى عدد لا نهائي من المدلولات وهو ما يجعل الشعر يبدو غامضا. 19

لكن إذا توقفنا عند القارئ في ظاهرة الغموض وجدناها نسبية، فما هو غامض عند قارئ ربما كان واضحا عند آخر، فإن القارئ الذي اعتاد أصواتا محددة لا يألف غيرها، ومن هنا ينشأ الغموض إذا حاول قراءة أصوات يجهل أسرارها، فقارئ الشعر المعاصر ينبغي أن يلم بالسياق الأكبر والأصغر لهذا الشعر، ولذلك لا يواجه غموضا مثل القارئ الذي يجهل أحد هذين السياقين أو كلاهما معا. 20

أن الغموض في الشعر العربي المعاصر تسببت فيه رواقد كثيرة منها:

1. غموض الفكرة:

وهي عدم القدرة على بلورة الفكرة، وإلباسها حللا لفظية تعبيراً عنها وهذا يكون عيباً إذا عاد إلى ضعف الشاعر اللغوي والأسلوبي ويرجع أحيانا إلى عدم اقتناع الشاعر بالفكرة أو عدم وضوح رؤيتها أمامه، كما أن طبيعة التلاقح بين عوامل التجربة الخارجية والأعماق الشعورية والفكرية وقدرة اللغة الشعرية يؤدي إلى كثافة في التجربة الشعرية وبالتالي يطغى عليها الغموض.

والقصيدة الحديثة تعتمد على الرؤيا والحلم ومن ثم تتسم بالضبابية وعدم التجلي والوضوح، وتكون الرؤيا التي تمثل الصيرورة الشعرية يكسوها الظلام والغموض، ومن هنا يتسرب الغموض إلى الشعر. 21

فالشاعر المعاصر انطلق من فضاء الرؤيا والأحلام وتصوير ما يختلج في الداخل الإنساني من غرائبه وعجائبه، ولذلك خلف الشاعر القارئ وراءه يبحث عن الحقيقة وعن الاتجاه الذي ذهب فيه المعنى، وصار الشاعر يتلذذ بهذه الألوبة ويخفي معاني نصه ضمن ألغازه ورموزه. 22

2. جدية القصيدة وخروجها عن المؤلف:

إن القصيدة الحديثة تصدر لها نفر من الشعراء الذين ساروا على نهج المدرسة السريالية والمدرسة الرمزية واعتمدوا الرمز ومن ثم استلهموا المذهب الغامض، وأعرضوا عن الرمز الذي يصحبه ما يدل عليه، إذن فالقصيدة الجديدة لم تنمو نموا طبيعيا، بل ولدت متكاملة وهذه الولادة ناجمة عن سياقات خارجية جعلها تبتعد عن الذوق والنموذج العربي الأصيل والمعاصر معا.

3. المفارقة بين السياق القديم والجديد:

ومنها فقدان الأفكار المشتركة بين الشاعر والقارئ نظرا لهيمنة الفكر الغربي على الفكر العربي بتياراته المتعارضة والذين تصدروا لتنظيم الحداثة والإبداع، في حين كان العالم العربي في عزلة عن مفاهيمها.

وحتى الثقافة المكونة للجميع وثقافة أولئك كانت متعارضة ومتباينة في كثير من مناحيها، لذا غلب على القصيدة الجديدة ظاهرة الغموض من داخلها وخارجها.

4 - ندرة النماذج المتكاملة البناء:

ومنها عدم توفير النصوص وتكاثرها حتى تفرض وجودها وتثبت فنيته، وبالتالي أصبح عمل الشعراء عبارة عن تجارب متعددة، لأن الحداثة التي ثبتت الغموض واحتضنته قوضت الضوابط الفنية من حيث الصور البلاغية، واللغة المعيارية والجرس الموسيقي وحتى المضامين العليا أرادت تخطيطها وأصبح الشعر كالنثر الفني. 23

إن الشعر في حد ذاته نشاط شعوري إنساني داخلي يصل إلى درجة التعقيد، أي أنه في طبيعته فن غامض، ففي لحظات الإبداع الشعري يكون الشاعر أمام حالة تدفق شعوري ضاغط، وما يستوحيه أو يتكون عنده من معان وأفكار، إنما يتكون في قبضة هذا الشعور المتفق الذي ينبع من أشد المراكز غموضا عند الإنسان، أي أن هناك من يتسبب في غموض الشعر وهو منبع الشعور الغامض عند الشاعر والشعور الغامض عند المتلقي.

فالشاعر يحاول أن يصوغ شعورا غامرا فياضا لا يخلو من الاختلاط وعدم وضوح الرؤية، لكن هذا الشعور النوعي لا يمكن أن يصاغ إلا في نسق أسلوبي متناسق معه، وهذا مما دفع وليام أمبسون إلى القول إن: "مكائد الغموض توجد في الشعر نفسه.."²⁴ إذن من خلال هذا فإن الغموض طبيعة الشعر أو أن من طبيعته أن يكون غامضا، بل ليس الشعر نفسه يكون غامضا، وإنما ينتج الغموض عن الشاعر وعن المتلقي للنص الشعري.

وبالتالي فهو عمل فني مشترك يسهم فيه صاحب النص بخلاصة التجربة التي عايشها، وتسهم فيه اللغة بدلالاتها

الموحية، كما يسهم فيه المتلقي بخبرته الفنية وذوقه الجمالي، فالعلاقة بين هذه المحاور تشبه بناء هرميا قمته النص في لغته ومعطياته، وقاعدته الأديب والمتلقي.

إن قراءة القارئ للنص المعاصر أضحت بلا فائدة، يقرأ ولا يفهم ما يقرأ، الأمر الذي أحدث قطيعة بين الشاعر والمتلقي شلت العملية الإبداعية، وسبب ذلك غياب المرجعية الثقافية لدى المتلقي، فالنص الشعري الجديد لا يلقي للقارئ جاهزا يعرفه كل الناس، وإنما يقتصر على فئة من القراء أصحاب القدرة على التأويل. 25

وكثيرا ما يقع القارئ في حيرة من أمره ويقف عاجزا أمام حل شفرات هذا النص الشعري الجديد، وربما لا يأتي له ذلك إلا بالرجوع إلى القواميس، ولذلك يرجع البعض أن أزمة التواصل بين الشاعر والقارئ ترجع إلى إساءة بعض الشعراء في استخدام اللغة الشعرية فيصبح كلامهم غامضا غير مفهوم.

كما يتلقى القارئ النص الشعري الغامض، فيشرع في تحوير صوره وتفسيرها، إذ تتداخل المعاني مع بعضها البعض للتعبير عن معنى آخر لم يعهده القارئ في طبعه العادي، نتيجة لتبادل الكلمات والمعاني لأدوارها في السياق الذي أصبح يقدم للقارئ معاني متعددة، أي إمكانية متنوعة لأكثر من معنى، ومن هنا ينشأ الغموض.

والمشكلة التي يعانيها القارئ العادي في هذه النصوص الشعرية ظاهرة للعيان وربما كان أهم أسبابها أنه يتلقى هذا النوع من النصوص المعاصرة بأدوات قديمة الأمر الذي يصعب عليه فهم النص وتحليله. ولكن على القارئ في هذا العصر أن يحسن من أدواته وآلياته قبل مواجهة هذه النصوص التي قد تصدمه من خلال ما تخفيه وترمز إليه. 26

إن الغموض المعاصر تطور حسب التكوين الفلسفي الذي انبثق منه، فهناك الرمز التشبيهي الذي يرمز للحرية بالمرأة أو يرمز للوطن بالفتاة، وهناك الرمز التراثي، وهذا النوع هو الذي وظف الرمز من أجل الغموض ولذلك يدعوا للتأمل والتدبر لفك شفرات النصوص، فالشاعر المعاصر استخدم الرمز القديم وحاول إسقاطه على أحداثه التي يعيشها، ليقع ذلك وبدون شعور في ظاهرة الغموض.

كما أن غياب الموضوع في النص الشعري المعاصر، هو من أسباب الغموض فقد لا يفهم المتلقي عم يتحدث الشاعر ولا حتى فكرته التي يعالجها، وبذلك يكون غياب الموضوع أو الفكرة الرئيسة من النص هو غياب أبعاده الدلالية، والمتلقي في هذه الحالة يجهل ما تحيل إليه لغة النص وتصبح لغة النص معزولة عن السياق الموضوعي، وبالتالي يبقى على القارئ سوى الاجتهاد في تأويل المعاني وفق آلياته، بعد أن غاب عليه الموضوع الشعري وذلك يعني غياب حقله الدلالي. 27

وربما يغمض الموضوع في ذهن الشاعر نفسه، إما لعمقه أو لمعالجته له بالصياغة والتعبير قبل نضجه وتبلوره في ذهنه، فيكون هذا سببا في غموضه إلى درجة الغياب، يقول الشاعر محمد الفيتوري: "إذا كنت صاحب رسالة فيجب أن أوصل هذه الرسالة إلى أصحابها، ولن تصل هذه الرسالة إذا لم تكن واضحة في ذهن أو روح شاعرها، ومن هنا يحدث اللبس أو الغموض في معطيات كثير من الشعراء المعاصرين" 28. إذن هذه شهادة أحد مبدعي الشعر العربي المعاصر، التي يمكن أن تبرهن أن غياب الموضوع يعني غياب الحقل الدلالي للنص مما يؤدي إلى التباسه في ذهن صاحبه.

إن هناك شيئا آخر يقف خلف الغموض أو الإبهام في الشعر وهو التأثير على أثر الشعر بدلا من التركيز على

ما يقوله ويبلغه وفكرة التركيز على التأثير تأتي واحدا من عدة اتجاهات في إطار الفكرة بين النص والمتلقي، منها اتجاه يربط بين النص وما يحدثه في المتلقي من تأثيرات جمالية، وأصحاب هذا الاتجاه يفضلون المتعة الموجودة في النص أحسن من مجرد الوصول إلى المعنى، ومنها الاتجاه الذي يربط بين النص ومضمونه وعلى هذا يكون الربط بين النص والمتلقي من خلال ما يثبته له من دلالات، وليس من خلال تأثيره الجمالي فيه، وهذا يستلزم الحضور الدلالي في النص، في حين أن الآخر يتسبب بشكل ما في الإبهام الدلالي.

ويبدو أن فكرة التأثير قد بدأت مع الرمزية التي تسعى إلى إثارة الأحاسيس الذاتية المبهمة لدى القارئ دون استهداف الفكرة الواضحة، إذ لا حاجة لفهم معنى الشعر في نظرهم، إلا الشعر المنبعث عن موسيقى الأبيات التي تؤثر في النفس تأثيرا مباشرا.

فالغموض في الشعر ليس نقيضا للبساطة، وأن الشعر المعاصر يظهر بسيطا لكنه في الوقت نفسه يتميز بالعمق، لأن البساطة الساذجة في الشعر لا يمكن أن تهزنا من أعماقنا، وهذه البساطة العميقة التي نصادفها لدى بعض الشعراء لا تجعلنا نرفض الشعر الغامض بل تجعلنا نميل إليه بطريقة أو بأخرى. لأن البساطة العميقة والغموض كلاهما شديد المماس بجوهر الشعر الأصيل، الذي يغلب عليه طابع الوضوح والسهولة، لأنه يستخدم لغة محددة الأبعاد ومنطقية، أما الشعر الجديد يغلب عليه طابع الغموض، لأن الشاعر عاد يدرك بوعي كاف طبيعة عمل، وهي أن يقول الشعر أولا، ثم يبتكر له صوره وألفاظه فيكسبه بذلك غموضا. 29

إن الغموض يمكن أن يغطي كل شيء ذي أهمية أدبية، وللإطلاع على دواعي الغموض في الشعر العربي لابد من دراستها عند الشاعر والقارئ وفي النص، يمكن أن ينتج عن معنيين أو أكثر في معنى واحد يكون الشاعر قد قصده، ويمكن أن يتولد من اتحاد عدة معان بغرض توضيح حالة ذهنية خفية أو معقدة، ويمكن أن يكون الغموض في قراءة القارئ فيذهب إلى عدة دلالات في تفسيراته لما يقرأ.

وما يمكن استنتاجه أن الغموض هو ما يميز القصيدة العربية المعاصرة، التي تعبر هي الأخرى عن الإنسان المعاصر بكل ما يعيشه من أزمات وتناقضات انعكست على تجربته الشعرية، لكن لا يمكن لهذا الغموض أن يصل إلى حد غياب المعنى أو الدلالة لأنه يتسبب من جهة أخرى في غياب موضوع القصيدة وتجريدها من واقعها وخيالها، ويفقدها لذتها الفنية والأدبية التي خلقت من أجلها.

1. ينظر، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص 130.129.
2. ينظر، الغموض والإيهام في شعر أبو تمام، سعيد شيباني، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الحادي عشر، السنة 2004، ص 37.38.
3. آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، ص 133.
4. ينظر، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط3، ص 187.
5. ينظر، لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، السعيد الورقي، دار المعارف، 1983م، ط2، ص 181.182.
6. ينظر، سبعة أنماط من الغموض، وليام أمبسون، ترجمة صبري محمد حسن عبد النبي، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص 23.
7. المرجع نفسه، ص 24.
8. آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، ص 134.
9. ينظر، الغموض في الشعر العربي، مسعد بن عيد العطوي، مكتبة الملك فهد الوطنية، تبوك، ط2، ص 165.
10. مقدمة للشعر العربي، أدونيس، دار العودة، بيروت، 1979م، ط3، ص 124.
11. المرجع نفسه، ص 126.
12. ينظر، الحداثة في الشعرية العربية المعاصرة بين الشعراء والنقاد، نادية يوزراع، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2007م، 2008م، رسالة ماجستير، ص 92.
13. المرجع نفسه، ص 93.
14. آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، ص 141.
15. ينظر، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، 1978م، ص 8.

16. ينظر، الشعرية العربية، أدونيس، دار الآداب، بيروت، 1989م، ط2، ص89.
17. ينظر، ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر، أمال دهنون، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثاني عشر، ص236.
18. ينظر، الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص193.
19. ينظر، ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر، أمال دهنون، ص238.
20. ينظر، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، ص156.
21. ينظر، الغموض في الشعر العربي، مسعد بن عيد العطوي، ص168.
22. ينظر، آليات القراءة في الشعر العربي المعاصر، خليل موسى، ص156.
23. ينظر، الغموض في الشعر العربي، مسعد بن عيد العطوي، ص169.
24. ينظر، سبعة أنماط من الغموض، وليام أمبسون، ص34.
25. ينظر، الإبهام في شعر الحداثة، عبد الرحمن محمد القعود، عالم المعرفة، الكويت، 2002م، ص223.
26. ينظر، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، محمود عباس عبد الواحد، دار الفكر العربي، 1996م، ط1، ص95.
27. ينظر، ظاهرة الغموض في الشعر العربي المعاصر، أمال دهنون، ص235.
28. ينظر، الغموض في الشعر العربي، مسعد بن عيد العطوي، ص217.
29. ينظر، الإبهام في شعر الحداثة، عبد الرحمن محمد القعود، مرجع سابق، ص76.
30. ينظر، الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، ص193.